

تفسير ابن كثير

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى : { ذرني ومن خلقت وحيدا } أي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى : { مالا ممدودا } أي واسعا كثيرا قيل ألف دينار وقيل مائه ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له { بنين شهودا } قال مجاهد لا يغيبون أي حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل موالיהם وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم : وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم وكأنوا فيما ذكره السدي وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده { ومهدت لهم تمهيدا } أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك .

{ ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا } أي معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى : { سأرهقه صعودا } قال الإمام أحمد : حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه أبدا] وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حدثنا ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن حرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونکارة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمنالمعروف بعلان المقرى قال : حدثنا منجبا أخبرنا شريك عن عمار الدهنى عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم { سأرهقه صعودا } قال : [هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت] رواه البزار وابن حرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس : صعودا صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدي : صعودا صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد { سأرهقه صعودا } أي مشقة من العذاب وقال قتادة : عذابا لا راحة فيه واختاره ابن حرير قوله تعالى : { إنه فكر وقدر } أي إنما أرهقناه صعودا أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أي تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال { وقدر } أي تروى { فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر } دعاء عليه { ثم نظر } أي أعاد النظرة والت Rooney { ثم عبس } أي قبض بين عينيه وقطب { وبسر } أي كلح وكرب ومنه

قول توبه بن الحمير : .

(وقد را بني منها صدود رأيته ... وإعراضها عن حاجتي وبسورها) .

وقوله : { ثم أذير واستكبر } أي صرف عن الحق ورجع القهقري مستكبراً عن الانقياد للقرآن { فقال إن هذا إلا سحر يؤثر } أي هذا سحر ينفعه محمد عن غيره من قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال : { إن هذا إلا قول البشر } أي ليس بكلام الله وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسألته عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال يا عجباً لما يقول ابن أبي كبسة فهو الله ما هو بـ شعر ولا بـ سحر ولا بهـ ذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا : وـ الله لـئن صـبا الـولـيد لـتصـبـو قـريـش فـلـما سـمع بـذـلك أـبـو جـهـلـ بنـ هـشـامـ قال : أنا وـ الله أـكـفـيكـمـ شـأـنـهـ فـاـ نـطـلـقـ حـتـىـ دـخـلـ عـلـيـهـ بـيـتـهـ فـقـالـ لـلـولـيدـ : أـلـمـ تـرـ إـلـىـ قـوـمـكـ قـدـ جـمـعـواـ لـكـ الصـدـقـةـ ؟ـ فـقـالـ : أـلـسـتـ أـكـثـرـهـ مـاـلـ وـلـدـاـ ؟ـ فـقـالـ أـبـو جـهـلـ : يـتـحـدـثـونـ أـنـكـ إـنـماـ تـدـخـلـ عـلـىـ أـبـيـ قـحـافـةـ لـتـصـبـبـ مـنـ طـعـامـهـ فـقـالـ الـولـيدـ : أـقـدـ تـحـدـثـ بـهـ عـشـيرـتـيـ ؟ـ فـلاـ وـ اللهـ لـأـقـرـبـ اـبـنـ أـبـيـ قـحـافـةـ وـلـاعـمـ وـلـاـ اـبـنـ أـبـيـ كـبـشـةـ وـمـاـ قـوـلـهـ إـلـاـ سـحـرـ يـؤـثـرـ فـأـنـزـلـ اللهـ عـلـىـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـ }ـ ذـرـنـيـ وـمـنـ خـلـقـتـ وـحـيـداـ }ـ إـلـىـ قـوـلـهـ {ـ لـاـ تـبـقـيـ وـلـاـ تـذـرـ }ـ وـقـالـ قـتـادـةـ : زـعـمـواـ أـنـهـ قـالـ : وـ اللهـ لـقـدـ نـظـرـتـ فـيـمـاـ قـالـ الرـجـلـ فـإـذـاـ هوـ لـيـسـ بـشـعـرـ وـإـنـ لـهـ لـحـلـاوـةـ وـإـنـ عـلـيـهـ لـطـلـاوـةـ وـإـنـ لـيـعـلـوـ وـمـاـ يـعـلـىـ عـلـيـهـ وـمـاـ أـشـكـ أـنـهـ سـحـرـ فـأـنـزـلـ اللهـ : {ـ فـقـتـلـ كـيـفـ قـدـرـ }ـ الـآـيـةـ .

{ ثم عبس وبسر } قبض ما بين عينيه وكبح وقال ابن حجر : حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكان أنه رق له فبلغ ذلك أبو جهل بن هشام فأتاوه فقال أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال : لم ؟ قال يعطونكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله قال قد علمت قريش أنك أكثرهم مالا قال : فقل فيه قوله يعلم قومك أنك منكر لما قال وأنك كاره له قال فماذا أقول فيه فهو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجره ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقوله لحلاؤه وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى وقال والله لا يرضي قومك حتى تقول فيه قال فدعوني حتى أتفكر فيه فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره فنزلت : { ذرني ومن خلقت وحيداً } حتى بلغ { تسعة عشر } وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا وقد رعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجتمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون : شاعر وقال آخرون : ساحر وقال آخرون : كاهن وقال آخرون : مجنون كما قال تعالى : { انظر كيف ضربوا لك الأمثال

فضلوا فلا يستطيعون سبيلا } كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكرو وقدر ونظر وعيسى وبسر فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر قال الله تعالى : { سأصليه سقر } أي ساغمره فيها من جميع جهاه ثم قال تعالى : { وما أدرك ما سقر } وهذا تهويل لأمرها وتفخيم ثم فسر ذلك بقوله تعالى : { لا تبقي ولا تذر } أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهم .

وقوله تعالى : { لواحة للبشر } قال مجاهد أي للجلد وقال أبو رزبن : تلفح الجلد لفحة فتدفعه أسود من الليل وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها وقال قتادة : { لواحة للبشر } أي حرارة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الإنسان وقوله تعالى : { عليها تسعه عشر } أي من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائد أخبرني حارث عن عامر عن البراء في قوله تعالى : { عليها تسعه عشر } قال : إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال : الله رسوله أعلم فجاء الرجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعتين { عليها تسعه عشر } فأخبر أصحابه وقال : [ادعهم أما إنني سألهما عن تربة الجنة إن أتويني أما إنها درمكة بيضاء فجاؤوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأسابيع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ثم قال : أخبروني عن تربة الجنة فقالوا : أخبرهم يا ابن سلام فقال : كأنها خبزة بيضاء : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن الخبر إنما يكون من الدرمك] هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا منده حدثنا أحمد بن عبد الله أخبرنا سفيان ويعيني بن حكيم حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال : [جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد غالب أصحابك اليوم فقال : بأي شيء ؟ قال : سألكم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أغلب قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ علي بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة فأرسل إليهم فدعاهم قالوا : يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال : هكذا وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه : إن سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك فلما سألهوا فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تربة الجنة ؟ فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا : خبزة يا أبا القاسم فقال : الخبز من الدرمك] وهكذا رواه الترمذى عند هذه الاية عن ابن أبي عمر عن سفيان به وقال هو والبزار لا يعرف إلا من حديث

مجالد وقد رواه الإمام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان فقم الدرملق فقط